

خير الدين الزركلي

أعلام المؤرخين



## شيخ المؤرخين المعاصرين خير الدين الزركلي

هو خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي  
الدمشقي، ولد في بيروت في ٢٥ حزيران ١٨٩٣م حيث كان والده  
تاجراً هناك، والده وأمه دمشقيان.

نشأ الزركلي في دمشق، وتعلم في مدارسها الأهلية، وأخذ عن  
معلميه الكثير من العلوم خاصة الأدبية منها، كان مولعاً في صغره  
بكتب الأدب، وقال الشعر في صباه. أتم دراسته (القسم العلمي) في  
المدرسة الهاشمية بدمشق، ثم عمل فيها مدرساً بعد التخرج، كما  
أصدر مجلة (الأصمعي) الأسبوعية فصادرتها الحكومة العثمانية.  
انتقل إلى بيروت لدراسة الآداب الفرنسية في الكلية العلمانية  
(اللايبك)، بعد التخرج عين في نفس الكلية أستاذاً للتاريخ والأدب  
العربي.

بعد الحرب العالمية الأولى، أصدر في دمشق جريدة يومية  
أسمها (لسان العرب) إلا أنها أوقفت، ثم شارك في إصدار جريدة  
المفيد اليومية وكتب فيها الكثير من المقالات الأدبية والاجتماعية.

على إثر معركة ميسلون ودخول الفرنسيين إلى دمشق حُكم عليه  
من قبل السلطة الفرنسية بالإعدام غيابياً وحجز أملاكه إلا أنه كان  
مغادراً دمشق إلى فلسطين، فمصر فالحجاز.

سنة ١٩٢١م تجنس الزركلي بالجنسية العربية في الحجاز،  
وانتدبه الملك حسين بن علي لمساعدة ابنه (الأمير عبد الله) بإنشاء  
الحكومة الأولى في عمان، حيث كلف مفتشاً عاماً لوزارة المعارف  
ثم رئيساً لديوان الحكومة (١٩٢١-١٩٢٣).

ألغت الحكومة الفرنسية قرار الإعدام على الزركلي فرجع إلى سورية، ومن ثم غادرها إلى مصر، وهناك أنشأ (المطبعة العربية) حيث طبع فيها بعض كتبه وكتباً أخرى.

أصدر في القدس مع رفيقين له جريدة (الحياة) اليومية، إلا أن الحكومة الإنجليزية عطّلتها فأنشأ جريدة يومية أخرى في (يافا)، واختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٠ م.

عينه الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٣٤ م مستشاراً للوكالة ثم (المفوضية) العربية السعودية بمصر، كما عُيّن مندوباً عن السعودية في مداورات إنشاء (جامعة الدول العربية)، ثم كان من الموقعين على ميثاقها.

مثّل الأمير فيصل آل سعود في عدة مؤتمرات دولية، وشارك في الكثير من المؤتمرات الأدبية والاجتماعية، وفي عام ١٩٤٦ م عين وزيراً للخارجية في الحكومة السعودية متناوباً مع الشيخ يوسف ياسين، وكذلك متناوباً معه العمل في جامعة الدول العربية، واختير في نفس العام عضواً في مجمع اللغة العربية بمصر.

عام ١٩٥١ م عين وزيراً مفوضاً ومندوباً دائماً لدى جامعة الدول العربية، فاستقر في مصر، وهناك باشر بطبع مؤلفه (الأعلام).

من عام ١٩٥٧ م وحتى عام ١٩٦٣، عين سفيراً ومندوباً ممتازاً (حسب التعبير الرسمي) للحكومة السعودية في المغرب كما انتخب في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٠.

منحته الحكومة السعودية بسبب مرض ألمّ به إجازة للراحة والتداوي غير محدودة، فأقام في بيروت وعكف على إنجاز كتاب في سيرة عاهل الجزيرة الأول (الملك عبد العزيز آل سعود) وأخذ

يقوم من حين لآخر برحلات إلى موطنه الثاني السعودية ودمشق والقاهرة وتركيا وإيطاليا وسويسرا. قام برحلات إلى الخارج يذكر أنها أفادته كثيراً.

- إلى إنجلترا سنة (١٩٤٦م) ومنها إلى فرنسا، ممثلاً للحكومة السعودية في اجتماعات المؤتمر الطبي الأول في باريس.

- إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة (١٩٤٧م) بمهمة رسمية غير سياسية، حضر خلالها بعض اجتماعات هيئة الأمم المتحدة.

- إلى أثينا العاصمة اليونانية سنة (١٩٥٤م) بصفة (وزير مفوض و مندوب فوق العادة) وجعل طريق عودته منها إلى استانبول لزيارة بعض مكاتبها.

- إلى تونس سنة (١٩٥٥م) مندوباً لحضور مؤتمر أقامه الحزب الدستوري فيها، ومنها إلى إيطاليا لزيارة أهم مكاتبها.

كان شاعراً مجيداً، ومؤرخاً ثقة، وكفياً أنه صاحب الأعلام.

قام خير الدين الزركلي في مصر بدور مميز في تنفيذ المهمات القومية السياسية والإعلامية، وذلك من خلال اللقاءات والاجتماعات وكتابة المقالات ونشر الأشعار القومية والوطنية. وتناول الزركلي المستعمرين وأذئابهم بنبرة حادة خشبها الفرنسيون في سوريا كثيراً، فحكموا عليه غيابياً بالإعدام وبحجز أملاكه، وقد تلقى الزركلي النبأ برياسة جاش وقال:

ندرواً دمي حنقاً علي وفاقم :: أن الشقي بما لقيت سعيد  
الله شاء لي الحياة وحاولوا :: ما لم يشأ وحكمه التأيد  
وعندما انطلقت الثورة السورية عام ١٩٢٥م، انطلقت ثورة الزركلي الشعرية بكل لهيبها وروحيتها العربية، فأخذ ينظم القصائد

ويرسلها إلى دمشق إما منشورة على صفحات الجرائد المصرية، وإما بوسائل النقل الأخرى، فأصبحت أبيات قصائده الوطنية على ألسنة الناس يتغنون بها في شوارع المدن السورية. وكانت ردود الفعل الفرنسية أقوى من ردود فعلها عام ١٩٢٠م فأذاعت حكماً عليه ثانياً غيابياً بالإعدام، وطالبت الحكومة المصرية بإسكاته أو طرده من مصر غير أن الزركلي لم يكثرث وظل يرسل قصائده الوطنية من القاهرة سرّاً، شاحداً هم العرب حتى لا يسكتوا على الاستعمار ولا يتوانى أحدهم عن النضال. يقول:

تأميوا لقراع الطامعين بكم :: ولا تفركم الآلاء والنعيم  
كان الزركلي يراقب ويتابع أحداث وطنه من بعيد، لذلك نراه يشارك إخوانه الأهم حين ضربت دمشق بالقنابل عام ١٩٢٥م، فيقول في قصيدته (بين الدم والنار):

الأهل أهلي والديار ديارى :: وشعار وادي النيرين شعاري  
ما كان من ألم مجلق نازل :: وأرى الزناد فرنده بي واري  
ويحس الزركلي أن دم الثوار الذي يراق في دمشق هو دمه، فيقول:

إن الدم المهراق في جنباها :: لدمي وأن شفارها أشفاري  
دمعي لما منيت به جار هنا :: ودمي هناك على ثراها جاري  
بنى الزركلي علاقات حميمة مع الكتاب والشعراء والمفكرين في مصر، من منطلق أهمية الكلمة التحضيرية في تعزيز الشعور الوطني والقومي في نفوس الجماهير العربية التي تعيش الهم القومي بكل جوانبه من هؤلاء الشاعر أحمد شوقي الذي ألقى قصيدته في حفل أقيم في القاهرة عام ١٩٢٦م، لإعانة منكوبي سوريا حين قامت بالثورة ضد المستعمر الفرنسي والتي مطلعها:

سلام من صبا بردى أرق :: ودمع لا يكفكف يا دمشق  
يشخص الزركلي صورة الأدب العلمي المنتج في كتابه الأعلام  
الذي جمع فيه فأوعى فكان بحق أيسر وأشمل معجم عربي مختصر  
في تاريخ الرجال. فكان الزركلي في حياته مثلاً: للناثر والشاعر  
والباحث.

في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٧٦، توفي أبو  
الغيث خير الدين الزركلي.

له من المؤلفات:

- كتاب (ما رأيت وما سمعت)، سجل فيه أحداث رحلته من  
دمشق إلى فلسطين فمصر فالحجاز.
- الجزء الأول من ديوان أشعاره، وفيه بعض ما نظم من شعر  
إلى سنة صدوره (١٩٢٥).
- كتاب (عامان في عمان)، مذكرات الزركلي أثناء إقامته في  
عمان وهو في جزآن.
- ماجدولين والشاعر، قصة شعرية قصيرة.
- كتاب شبه الجزيرة في عهد الملك بن عبد العزيز.
- كتاب (الأعلام)، وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء  
من العرب والمستعربين والمستشرقين يقع في ثمانية مجلدات.
- الملك عبد العزيز في نمة التاريخ.
- صفحة مجهولة من تاريخ سوريا في العهد الفيصلي.
- الجزء الثاني من ديوان أشعاره (١٩٢٥ - ١٩٧٠ م).

- قصة تمثيلية نثرية أسماها (وفاء العرب) (١).

ويعد كتاب "الأعلام" من أشهر ما ألف في تراجم الأعلام، قديماً وحديثاً، وأكثرها فائدة، وأوسعها مادة.

وقد بين الزركلي شرطه فيمن يترجم له فقال: «أن يكون لصاحب الترجمة علم تشهد به تصانيفه، أو خلافة أو ملك أو إمارة، أو منصب رفيع كوزارة أو قضاء كان له فيه أثر بارز، أو رئاسة مذهب، أو فن تميز به، أو أثر في العمران يذكر له، أو شعر، أو مكانة يتردد بها اسمه، أو رواية كثيرة، أو يكون أصل نسب، أو مضرب مثل. وضابط ذلك كله: أن يكون ممن يتردد ذكرهم، ويسأل عنهم» ا. هـ.

قال الطناحي: «وقد أفسح الزركلي في كتابه، مكاناً لهؤلاء النفر من المستشرقين، الذين قدموا خدمة للعربية، في مجال الدراسات ونشر النصوص.» ا. هـ.

- وبين المؤلف أيضاً الباعث لتأليفه فقال: (في الخزانة العربية فراغ، وفي أنفس قرانها حاجة، وللعصر اقتضاء. يعوز الخزانة العربية كتاب يضم شتات ما فيها من كتب التراجم، مخطوطها ومطبوعها.. وقد حاولت بهذا الكتاب أن أملاً جائباً صغيراً من هذا الفراغ، وأمضي بعض تلك الحاجة، وأقوم بشيء مما يقتضيه العصر، وعساي أن أوفق).

وترجم الزركلي الأعلام على الترتيب الهجائي في الاسم الأول والثاني، ولم يترجم أعلامه على الشهرة، بيد أنه وضع لها إحالة

(١) انظر مقدمة كتاب الأعلام، لخير الدين الزركلي، من طبع ونشر وتوزيع دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢.

تدلك على صاحبها. فابن جرير الطبري تبحث عنه في الشهرة أولاً، ثم تبحث عن اسمه.

مثلاً: ابن جرير = محمد بن جرير ٣١٠

الطبري = محمد بن جرير ٣١٠

والرقم الذي يلي الاسم هو تاريخ الوفاة.

والزركلي لم يعتمد في الترتيب الهجائي سوى الاسم الأول والثاني فقط، فكل (أحمد بن محمد) عنده (هجائياً) في نسق واحد، ولكن يرتب بينهم بحسب الوفاة معتمداً التاريخ الهجري. مثلاً:

أحمد بن محمد بن يوسف ٣٦٠ قبل أحمد بن محمد بن إبراهيم ٤٥٠.

وطبع كتاب الأعلام عدة طبعات:

\* الطبعة الأولى (سنة ١٣٤٥ هـ): بالمطبعة العربية بمصر التي كان يملكها الزركلي في ثلاثة مجلدات مجموع صفحاتها ١١٨٧.

\* الطبعة الثانية: بعد ٣٠ عاماً (سنة ١٣٧٧ هـ) في عشرة مجلدات، العاشر منها مستدرك لما فاته في الأجزاء التسعة من خطأ في ترجمة أو تصحيح في أخرى، وأضاف إليها نماذج من خطوط بعض المترجمين، وكذلك صوراً لبعض الأعلام، وتمتاز هذه النماذج والصور بالجودة التي ضعف بهاؤها في الطبعات اللاحقة ووضع فهرساً للخطوط والصور، وجاءت هذه الطبعة ثلاثة أضعاف الطبعة الأولى.

\* الطبعة الثالثة: في بيروت (سنة ١٣٨٩ هـ) في أحد عشر مجلداً وهي عبارة عن الطبعة الثانية إلا أنه أدخل في صلب التراجم

بعض التصحيحات (أصلح ما استطاع إصلاحه المتن من غير إخلال في أرقام الصفحات. كما ألحق مستدرکًا ثانيًا في مجلد سماه: «المستدرک الثاني» جعل فيه بعض التصحيحات، وفي هذه الطبعة استل نماذج الخطوط والصور فجعلها في مجلد مستقل ولم تختلف الصفحات في الطبعة الثانية، حيث أنه لم يكن لنماذج الخطوط والصور أرقام صفحات.

\* الطبعة الرابعة: (سنة ١٣٩٩ هـ) بدار العلم للملايين ببيروت في ثمان مجلدات من القطع الكبير وهي بعد وفاة مؤلفه [قولي الإشراف عليها بعد موته صديقه وابن شيخه (ظافر القاسمي) نجل شيخ الشام جمال الدين القاسمي، وشاركه في الإشراف الشيخ زهير جاويش والأستاذ زهير فتح الله. ]، وقد كان الزركلي أضاف إليها كتابه «الإعلام بما ليس في الأعلام» الذي كان ينوي طباعته مستقلا عن كتابه الأول، كما أضيفت إلى هذه الطبعة المستدركات التي كانت مستقلة ووضعت في أماكنها وكذلك نموذج من خط المترجم وصورته بجوار ترجمته إلا أنه أثناء الطباعة سقطت بعض التراجم فتجد الإحالة ولا تجد الترجمة، بل قد تجد نموذجًا من خط المترجم ولا تجد ترجمته. مثل: عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني ٥٩: ٤، وعن هذه الطبعة بقية الطباعات اللاحقة إلا أننا نجد في بعض الطباعات زيادة أو نقصانًا..

ويتميز هذا الكتاب بعدة مميزات فيقول الطناحي «: ومحاسن هذا الكتاب كثيرة، وإن فاتني نكر هذه المحاسن مجتمعة، فإني أشير إلى أبرزها:

١ - الدقة البالغة في تحرير الترجمة، وإبراز أهم ملامح العلم المترجم.

- ٢ - ذكر ما قد يكون من خلاف، في الاسم، والمولد والوفاة، ونسبة الكتب مع اتخاذ مواقف الحسم، أو الترجيح.
- ٣ - تنقيح بعض كتب التراجم مما علق بها، من وهم، أو تصحيف، أو تحريف.
- ٤ - الرجوع في توثيق الترجمة إلى المصادر المخطوطة، إذا عزت المطبوعة، أو كانت الثقة بها نازلة.
- ٥ - الاستعانة بالمراجع الحية، من أهل العلم، والمنتسبين إلى مذهب المترجم.
- ٦ - جلاء الغموض الذي يكتنف بعض الأعلام.
- ٧ - التنبيه على بعض الفوائد العلمية.
- ٨ - الإنصاف والبعد عن الهوى، وسوق الرأي الخاص ملففاً في بجاد النزاهة والتصون. وأكثر ما ترى ذلك في تراجم المعاصرين، من أهل الفكر والأدب والسياسة.
- ٩ - الإحالة الذكية بعد الفراغ من الترجمة إلى أصول المصادر والمراجع.
- ١٠ - ذكر نفائس المخطوطات ونوادرها، التي رآها في رحلاته وأسفاره. وكذلك التي أطلعه عليها أصدقاؤه، وفي مقدمتهم السيد أحمد عبيد، بدمشق، وما أكثر ما أشار إليه في تعليقاته.
- ١١ - إثبات صور خطوط العلماء قديماً وحديثاً. وهذا يفيد في توثيق المخطوطات التي يقال: إنها بخطوط مؤلفيها. فعن طريق مضاهاة ما بيدك منها بما أثبتته من تلك النماذج للخطوط، يظهر لك وجه الصواب، أو الخطأ.

ويتصل بذلك إثباته لتوقعات الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء وصور المحدثين من المعاصرين، ومن قرب منهم، ممن أدركهم فن التصوير الفوتوغرافي.

١٢ - وقد زان ذلك كله حسن البيان، وصفاء العبارة. فالرجل رحمه الله، كان أديباً شاعراً. وقد كان الأدب وما زال خير سبيل لإيصال المعرفة، وسرعة إيصالها إلى السمع، واستيلائها على النفس. والبلغ يضع لسانه حيث أراد. وإنك لتجد كثيراً من الدراسات قد جمعت فأوعت، لكنها لم تبلغ مبلغها من النفع والفائدة؛ لجفافها وعسرها.

أما ما وراء ذلك من حلو الشمانل، وكرم الطبع، ونقاء الخلق، فهو مما لهج به الخاصة والعامة، ممن اتصلوا بالرجل، بسبب من الأسباب. ولست أشك في أن إقامة الزركلي - رحمه الله - في مصر والمغرب، سنين ذوات عدد، قد أعانتته على إقامة ذلك الصرح الشامخ. وآية ذلك أن كثيراً من نماذج المخطوطات، التي امتلأ بها كتابه، من محفوظات دار الكتب المصرية، ومعهد المخطوطات بالقاهرة، وخزانة الكتب الخاصة والعامة، بالمغرب الأقصى. "أ. هـ كلام الطنحاحي رحمه الله.

ومما أخذ على الكتاب:

قال أحمد العلانة: بذل المؤلف ما وسعه من - جهد في جمع التراجم وتحريرها، بيد أن عمله - كأى عمل آخر - لا يخلو من مأخذ وهنات، وإذا قيس مأخذه وهناته بعمله الجريء، كانت كأنها لم تكن. وأجملتُ المأخذ بما يلي:

١ - لم يترجم مشاهير قدماء وعصريين مثل أحمد بن هبة الله المدائني صاحب كتاب أحكام الجدل والمناظرة، والقاسم بن محمد بن

علي الشاشي صاحب التقريب، والشاعر ابن زريق البغدادي وأبو بكر محمد ابن داود الداوودي وابن المكوي.

ومن العصريين: الدكتور محمد غنيمي هلال، وإبراهيم حمروش، وممدوح الشريف (الخطاط).

٢ - الإيجاز المخل لبعض المشاهير مثل: الحريري صاحب المقامات.

٣ - لم يترجم للأنبياء الذين ذكر اسمهم في القرآن الكريم، ولم يترجم إلا للأنبياء: محمد، وشعيب، وأيوب، وهود، وإسماعيل، وصالح صلوات الله عليهم.

٤ - لم يترجم لسلطين الدولة العثمانية، مع أنه ترجم للمماليك والمستشرقين.

٥ - ترجم لمجاهيل، أو ممن هم ليسوا أحقاء بالترجمة، منه وهو كثير: محمد هادي ١٢٧/٧، والحسيني ١٢٩/٧، والحلاق ١٥٦/٧، والكشميري ١٢٣/٧، ومهدي الكاظمي ٣١٢/٧، والنوري ١٣١٤/٧ هـ.

- قالوا عن الكتاب:

يقول محمود الطناحي:

أما « الأعلام » فهو خير كتاب ألف في بابيه، بل هو خير ما كتب كاتب في تراجم الرجال والنساء في هذا العصر.

وخلاصة القول: أن هذا الكتاب أبلغ رد على من يزعم أن العرب المعاصرين لم يصنعوا شيئاً ذا بال، في تاريخ رجالهم وأعلامهم. وأنه لا ينبغي أن تخلو مكتبة طالب علم من هذا الكتاب.

يقول الشيخ علي الطنطاوي:

كتاب الأعلام للزركلي أحد الكتب العشرة التي يفاخر بها هذا القرن القرون السابقت<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) انظر: محمود الطنطاوي، الموجز، أحمد العلوانة، ذيل الأعلام، محمد بن عبد الله، الرشيد الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام.

---